

صورة الليل في شعر علي الحلي بين العتمة والبحث عن الضوء

م . د محمد شكر محمود الاحبابي

The Image of Night in the Poetry of Ali al-Hilli: Between Darkness and the Search for Light

M. Dr. Muhammad Shukr Mahmoud Al-Ahbabi

Lecturer: General Directorate of Education in Salah al-Din

Specialization: Modern Literature

Email: mohmmedalababy1967@gmail.com

الملخص:

يتناول البحث دراسة بلاغية - دلالية لمفهوم الليل بوصفه فضاءاً للتحوّل والرؤية ، وأرتباط تجربة الشاعر مع الليل وتمثلات الوحدة والقلق الإبداعي ، وتحليل بلاغي للصور الفنية المرتبطة بالليل ومصادر تشكيلها : الطبيعة ، تجربة الشاعر والذاكرة ، الخيال ، المنفى والاعتراب ، وأنّ المتنبع للأدب العربي وخاصة الشعر يجد صورة الليل في بواكير القصائد الجاهلية ، حيث تناول الشعراء الليل في صور مختلفة ، بحيث أعطت لقصائدهم زخماً فنياً عالياً في البناء الفني للقصيدة من جهة ، والدلالات العميقة من جهة أخرى ، وهكذا كان ليل توظيفاً واسعاً عند شعراء العصر الحديث ، والشاعر علي الحلي واحداً منهم ، حتى أصبحت صور الليل عند الشاعر ظاهرة جليلة وسمة من سمات شعره . كلمات مفتاحية: الليل ، دلالات الصور ، العتمة ، الضوء ، الرمزية

Abstract:

This research presents a rhetorical and semantic study of the concept of night as a space of transformation and vision. It explores the connection between the poet's experience of night and its representations of loneliness and creative anxiety. The research also includes a rhetorical analysis of the artistic images associated with night and their sources of formation: nature, the poet's experience and memory, imagination, exile, and alienation. A reader of Arabic literature, particularly poetry, will find the image of night in the earliest pre-Islamic poems, where poets addressed the night in various ways, lending their poems a high level of artistic impact in terms of both the poem's structure and its profound meanings. Similarly, night has been widely employed by modern poets, including Ali al-Hilli, to the point that its imagery has become a prominent feature and characteristic of his poetry. Keywords: Night, imagery, darkness, light, symbolism

سبب اختيار الموضوع:

من خلال قراءة المجموعة الشعرية للشاعر علي الحلي تجلت لي ظاهرة لافتة للنظر في معظم القصائد الشعرية ، هي صور الليل بدلالات كثيرة ، إذ وظف الشاعر علي الحلي رمزية الليل في أوجه مختلفة ومتعددة منها : رمزاً للمنفى والاعتراب والوحشة والبحث عن الحرية ورمزاً للنهاية والانطفاء والكشف .

منهج البحث :

لدراسة صور الليل في شعر علي الحلي لابد من أتباع المنهج الاسلوبي ، لتحليل البنية الشعرية والمعاني ، كون صورة الليل في شعر الشاعر تأتي الانزياحات في الغربة والقلق ، وأنتظار ضوء الفجر الذي يزيح الظلمة ، وكانت حدود الدراسة هي : الأعمال الشعرية الكاملة الجزء الأول ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

أهداف البحث :

١- الكشف عن دلالات صور الليل عند علي الحلي، وما تحمله من معاني متعددة.

- ٢- تحليل الوظيفة الفنية لصور الليل ، وكيف تسهم صورة الليل في البناء الفني للقصيدة عند علي الحلبي .
- ٣- تتبع البعد النفسي والاجتماعي لصور الليل في التحولات النفسية والاجتماعية ، والتجارب التي مر بها الشاعر في البعد عن الوطن ، وتأثره بالأزمات التي عاشها المواطن العربي .
- عن الشاعر : علي محمد الحلبي ولد في مدينة النجف عام ١٩٣٠م ، تخرج من كلية القانون ١٩٥٢م ، افتتح مكتب للمحاماة في شارع المتنبى في فترة فصله من وظيفته .

دواوينه :

((الشاعر ١٩٥٤م ، إنسان الجزائر ١٩٥٨م ، المشردون ١٩٧٠م ، غريب على الشاطئ ١٩٧٠م)) (١).

الدراسات السابقة :

- عرس الشناشيل : دراسة فنية في شعر علي الحلبي ، سعيد عبد الرضا ، دار الشؤون الثقافية ، ٢٠٠٠م .
- الثورة الجزائرية في شعر العراقي الحديث ، بوكليخة ، ستي ، العدد ٢/ ، مجلد ٤ ، ٢٠٢١م .
- المبحث الأول البنية الدلالية لصور الليل والعتمة في شعر علي الحلبي.**

تمهيد :

جاء الليل في شعر علي الحلبي من أكثر الصور الشعرية حضوراً ، فلم يكن مجرد زمن يدور ، بل هو رافد مهم في بناء النص عند الشاعر ، فجاء الليل في صور متعددة وهي العتمة والظلام والمنفى والخوف والبحث عن الضوء ، حيث تتشابك فيه المعاني والصور الجزئية المتتابعة لتكون الصورة الكلية للنص الشعري ، وتسهم صورة الليل عند علي الحلبي في البنية العميقة لقصائده ، وبما أنّ دراستنا تهتم بالعلاقات الداخلية للقصيدة ، لا بد لنا من تتبع النصوص وفق المنهج البنوي ، ومن ثم رصد علاقة صور الليل بالصور الأخرى الموجودة في القصيدة ، والثنائيات الضدية والمجالات الدلالية التي تنبثق عنها ، وهذا ما تناوله المبحث ، وفي احصاء دقيق تبين أن الشاعر تناول صور الليل في الأعمال الشعرية الكاملة الجزء الأول (٦٦) مرة ، وقد حاولنا الكشف عن الدلالات المتنوعة في صور الليل عند الشاعر ، وكيف نمت دلالة الليل عند الشاعر ، وكيف انكشفت دلالة صور أخرى أو تلاشت بمرور الزمن^(٢). إن توظيف الليل وحضوره في الشعر الحديث لا يأتي منفصلاً عن السياق التاريخي والإنساني الذي واكبه الشعراء ، فنجد الاغتراب المكاني والروحي والقلق السياسي ، لذا تحول الليل إلى مرآة عاكسة للواقع الحيث ، وتحولت هذه الصورة إلى قناة رئيسة للوصول للمتلقي وتطورها بحيث يكون البناء الشعري بناءً صورياً^(٣) ، وبالتالي فهم البنية العميقة للنص الشعري ، فالليل يشكل رمزاً للروابط داخل القصيدة ، ويتبين هذا في قصيدة الشاعر (ليل الجزائر) : (٤)

الليلُ هنا . . ظلُّ مُلقى !

فوق الاطلال بها يشقى

وكهوفُ أساطيرِ الحمقى

وعزيفُ أعاصيرٍ . . تبقى

في هذا النص يرسم الشاعر علي الحلبي صورة كثيفة لليل والعتمة عبر صور جزئية متتابعة ، والتي تحول الليل من زمن مجرد إلى واقع حي مثقل بالحزن والاعراب ، ثم تتشكل الصورة الكلية للنص ، فالليل هنا هو كائن يغطي ويهيمن على حياة الشاعر ، والحلي يصور الليل بأنه جسدٌ متهالك مُلقى على الأرض يحيطه السكون والاحباط ، أما (الأطلال) جاءت رمزاً للرحيل والخراب والذكريات الماضية والتي تشكل الفقد أيضاً ، والمفارقة في النص الليل يشقى بما تُرك من أطلال تبعثُ بالأسى ، والليل عند الحلبي يصبح كهفاً واسعاً من الاساطير والخوف ، فالشاعر أمام واقع تمتزج فيه العتمة والضبابية والوهم المجهول ، وكل هذه المؤشرات جاثمة لا تزول ولا تتغير . الشاعر علي الحلبي يقدم الليل في صورة الكائن الذي يحمل صفات وحواس حية ، كما جاء في النص الآتي حيث يقول:^(٥)

ستعصب أحداق الليل

وتمزق اشداق الهول

وتلطح اوضاخ الويل !

بدماء الصرعى . . كالسيل

أورد الشاعر في هذا النص صوراً حسية وعنيفة لليل ، فيحوّله من مجالٍ راكدٍ إلى كائن متوحش ومتعطش للدماء والدمار ، حيث تتصاعد الصور بشكل تمثيلي يجعل من الليل طرف فاعل في أشاعة الخوف والموت ، وقد نزع الشاعر من الليل صفته الظرفية الزمانية ، فجاء الليل يحمل صور العتمة التي لا رجاء في الخلاص منها ، فالليل يحمل سمات وملامح الأنسان ، فيظفي عليه عيوناً وأحاسيس ، وكأنه غول أسطوري متعطش للدماء والقتل والفوضى وانحسار الأمل وطول الأنتظار بقدوم الضياء ، فهو مطبق يبتلع الضوء ، ويمحو البياض ويفرض الواقع الذي لا يمكن الفرار منه يبدو أنّ الشاعر استخدم صور الليل حيث ترتبط العتمة والظلام بدلالات القنوط واليأس والإحباط ، فيسوق الشاعر صور الظلم والمعاناة والجور ، وفي نفس الوقت يبحث عن النور والأمل المفقود ، فالشعر عند الحلي هو كشف الحقيقة للمتلقين وإقناعهم^(٦)، حيث يقول^(٧):

وتحنُّ إلى الليل الحاني !

لليل الاعمى ، العريان

يتدثرُ بالافق القاني

ورَشَّاشِ الطلّ النديان

في النص يمنح الشاعر الليل بعداً إنسانياً بوصفه كائن حي مختلف الأوجه ، يتأرجح بين الحجب والظهور وبين الشروق والانطفاء ، فالشاعر يصور أحساس داخلي في الحنين إلى الليل كظرف زمني ، بل ركن دافئ يركن إليه ، فصفة الحاني تعطي الليل بعداً يصنع جواً فيه ألفه وشعور بالتقارب ، ثم تتغير هيئة الليل إلى صورة معاكسة بفقدان الرؤية وهي تمثل الضياع والضعف ، فالجمع بين (الحاني والاعمى العريان) يخلق موقف تصويري لليل الحاني الدافئ لكنه عاجز ، ولفظة (يتدثر) استعارة تُشبه الليل بالشخص الذي يرتدي ثوباً ، فالليل جاء ملاذ للحنان يحمل أبعاد عاطفية ، وهذا يعكس حالة الشاعر التي تتمايل بين الحاجة إلى الاستقرار وبين الاحساس بالتلاشي ، فالليل في النص يشكل تجربة وجودية يعيشها الشاعر ، يلجأ إليها أحياناً ويخشها أحياناً أخرى والواقع أن هذا التصوير العميق لليل ودلالاته المعتمة من جانب الشاعر قد عكس علاقته به ، ومثلما ارتبط الليل بالعتمة والظلام والخوف ، ارتبط أيضاً بالذكريات والسكون وأمل الانكشاف والفجر الجديد ، بحيث عبر الشاعر إلى عمق الإحساس وحرارة التجربة وصدق المواقف ، إذ يقول^(٨):

الليلُ من خلفي ... بطاردني

والمهمهُ المصلوبُ ...أنواء

والفجرُ مخنوقٌ ... كهأوية

والنور في الأغوار أشلاء

يقدم لنا الشاعر في هذا النص صور متلاحقة تحمل التوتر والعتمة والصلب والاختناق ، تحت سياق رمزي قائم مغطى برمزية الليل كونه الثيمة الدلالية ، فالليل يتحول إلى مخلوق له أمكانية المطاردة وله قوة خارقة ، حيث يهدد الشاعر ويبث الخوف والقلق الوجودي والشعور بخطر الدائم ، فالليل في المقطع ليس ظرفاً زمنياً ، بل رمزاً للقهر السياسي والمطاردة وكنم الأنفاس وتلاشي نور الشراق الأمل ، والصور في المقطع ليست متشابهة بل متناسقة ومتدرجة ، حيث جاءت: مطاردة وتهديد ثم صلب ومأساة وفقد النور وزوال الحقيقة ، وقد أستطاع الشاعر وبيراعة كبيرة من البناء المحزن للصورة الشعرية . في هذا المقطع تظهر فلسفة الشاعر وموقفه تجاه الليل والطبيعة والمجتمع ، فكثيراً ما تظهر أفكار الشاعر العميقة وإن كانت بعيدة عن الواقع^(٩) ، كما في قول الحلي في قصيدة (العرب في طريق الشمس):^(١٠)

من ترى ذلك المجندلُ في الليل تلوى على الرصيف الجماجم

عربيُّ السمات ينضحُ طهراً ... وانطلاقاً مجنحَ الأفق باسم !؟

يستخدم الشاعر أسلوب الاستهزام والتعجب في النص الشعري ، والذي يحمل صورة متشابهة تساهم في فهم المعنى العميق للنص ، وتشارك في البناء الفني للقصيدة ، فالليل تلوى على رصيف الجماجم تعد ملمحاً متداخل من الصور باعتباره وحدة متكاملة^(١١) ، فالشاعر يصور مشهد لجريمة وقعت تحت جناح الليل في الظلام ، فالمقتول ليس له أي قيمة ، والرصيف مسرح الجريمة ، فجاءت صورة الليل معتمة ، وفضاء للموت ، وبنفس الوقت الليل غطاء للجريمة والافلات من العقاب ، فالصورة قتيل ملقى وجماجم تتلوى في ظلام دامس يحدث تحته كل أنواع الجرائم ، لذا جاءت الصور سوداوية معتمة بالحزن والظلم والقسر الذي سُلط من قبل الاحتلال البريطاني والفرنسي في البلاد العربية وفي السياق ذاته تتجلى صورة الليل السوداوية التي تبعث الخوف والضياع والموت لدى الشاعر حيث يقول^(١٢):

الليلُ . والسمتُ . والأشباحُ جائمةٌ

في حانة المحل ، والندمانُ أمواتُ

يرسم علي الحلي منظرًا ليلياً مقفراً في حانة متروكة ، فالليل هو رمز نفسي مغمم بالحزن والضياع ، قد تشكلت صورته بتراكم المفردات الرئيسية في النص (الليل ، الصمت ، الأشباح) وهذه التراكمية شكلت الصورة الكلية المظلمة ، فيصبح الليل طوق خوف واقعي ، فالليل رمز الغربة الروحية ، والصمت ليس سكوناً ، بل سكوت كاتم يتماهى مع الأنكسار والخوف واليأس حيث تتلاشي الالفاظ والكلمات ، وكان الطرف المكاني (الحانة) رمزاً للتيه والانحدار والهروب ، و(الندمان أموات) صورة فنية فيها مفارقة بلاغية (حياة - موت) حيث تمثل تلاشي الآمال والرضوخ للواقع ، فالمقطع يرسم منظرًا وجودياً قائم يستند على الاغتراب والمنفى والضياع وفي السياق ذاته يطالعنا الشاعر بمجموعة من الصور الفنية ، والليل يشكلُ مركز الرمز الذي يفتح على عدة صور: العتمة والفراغ والتلاشي ، حيث يقول: (١٣)

الليلُ في متاهة الفراغ ... مقلتان في مغارة العدم

وذئبتان تلهتان من تشنج الألم

وطائران تائهان في سرابنا ، المشرد ، الكئيب

يالليلُ ، ياريحُ ، يابحيرة الصموت

في النص يوظف الشاعر صور الليل لرمزية الضياع والنتيه والعدم والصراع الداخلي ، ويضع الشاعر الليل في تشبيه متشائم بعينين تحديقان من كهفٍ معتم ، إنها صورة سوداوية ترمز إلى السجن الذاتي ، وذئبتان تلهتان من تشنج الألم صورة تُحول التهديد إلى صراع داخلي ، ويبدو أن الشاعر يرمز إلى آلام نفسي يتحول إلى ذئاب داخلية ، وجاءت رمزية الليل تجسد بُعداً وجدانياً تتوالد فيه صور القهر والضياع والصراع الداخلي ، فالليل يمثل الفراغ والضياع النفسي وعدم الاستقرار الروحي ، و يوحي بنقل متشبعاً بالأسى والوحشة ، وبهذا تمكن الحلي من جعل الليل إطار رمزي يعكس تجربة إنسانية مضطربة ، تتأرجح بين الألم والبحث عن السكون والانكشاف والفجر الجديد ، فيتحول الليل إلى بنية مركزية كبيرة تعمل على درجات نفسية تظهر الذات في مواجهة الفراغ والتصدعات الذاتية .

الصباح الثاني: البعد التأثري في صورة الليل .

وظف الشعراء في العصر الحديث البعد الجمالي والتأثري لصور الليل بشكل كبير، حيث شغلت مساحة واسعة من نتاجهم الشعري ، فالليل يحمل رموزاً متعددة منها: الجمال والسكون والخوف والعتمة والمجهول والمنفى والكشف والظلام ، فمتزج هذه الصورة مع تجارب الشاعر التي عاشها ، حيث تكون هذه الصور ظرفاً طبيعياً تحمل مشاعر وجودية ونفسية ، فالليل أصبح أفقاً للأحلام والولادة والأنبثاق والفجر الجديد ، كما في الوقت نفسه يعد صورة للمنفى والغربة الروحية والمكانية ، ورمزاً لعدم الاستقرار والخشية ، ومن جماليات الليل تحوله من الزمنية إلى فاعل مؤثر في الانزياح اللغوي ، كما تختزل صورة الليل دلالات مكثفة من خلال التشخيص والاستعارة وأسننة الليل ، حيث نرى جماليات التضاد : (السكون والصراخ) ، (العتمة والضوء) ، (النهار والليل) ، (الولادة والموت) ، (المنفى والقرب) ، (الأمل والخيبة) فهذا التضاد يعمل لصنع توتر فني يعكس صراع الشاعر مع المجتمع. تتباين صور الليل في شعر علي الحلي ، فتارةً تحمل مشاعر وأبعاداً جمالية مؤثرة ، وتارةً أخرى تحمل صور مختلفة تماماً ، كما في النص الآتي حيث يقول: (١٤)

وجهُك المشرقُ ، لومومبا ، مروءاتٍ طيبه !

يتندى في ظلوع الليل إضمامة عطرٍ

لم تمت أشواقك العذراء في أعماق بئرٍ

في النص الشعري يتداخل رمز صورة الليل مع المعنى الوجداني في البناء الفني بزخم متراكم معطياً صورة كلية من حيث الشكل والدلالة ، وفي النص يخاطب الشاعر (لومومبا) زعيم جمهورية الكونغو الذي أُقْتِيلَ عام ١٩٦١م^(١٥) ، بوصفه رمزاً للتحرك والانتفاض ضد الظلم والطغيان ، وقوله (وجهُك مشرق) أي باقي طالما تمسك بالمبادئ السامية والنقية والرافضة للقمع والاستعباد ، فصورة الليل في النص رمزاً للعتمة التي تمثل الظلام المطبق والاستعباد والخوف والضياع ، وعبارة (لم تمت أشواقك) هي صور للأمل المرتجى والمنتظر ، بالرغم من محاولة طمس الأحلام التي لازالت راسخة في الضمير الإنساني ، لذا جاءت صورة الليل ظلامية تحمل رمز الموت والقهر والإنكسار والتسلط ، ويقابل هذه الصورة (العطر والأشراق) رمزاً للبقاء والرفض والتصدي والاستمرار ، والكفاح الدائم ضد ظلم الدخلاء والظالمين تتلاحق الصور في النص الآتي بشكل

رأسي ، وأولها صورة الليل التي جعلها الشاعر ثيمة في كثير من قصائده ، حتى أصبح الليل مركز الصورة الفنية ، وكما جاء في النص حيث يقول: (١٦)

الليل في بحيرتي عفونة الرمم

بقية احتضار

جنازة النهار

زوارق تشيح عن مرافء الربيع

الليل في بحيرتي ينام في مضاجع السكون

الشاعر في النص يحاول بناء الصور بشكل رأسي ، وأول هذه الصور الليل الذي جعله رمزاً مكثفاً ومفزعاً ، حيث أخرج الشاعر الليل من معناه الحقيقي إلى معاني ودلالات مجازية ذات أبعاد نفسية وسياسية ، إذ تتوالي صور الليل بشكل متعاقب ومتسلسل بحالات كابوسية غطت النص كله ، فقتن الليل مع العفونة والاحتضار والنهاية ، حيث يكشف الشاعر عن تحول بطيء من الموت الطبيعي إلى الموت الرمزي ، فقوله (الليل في بحيرتي عفونة الرمم) من أشد صور الليل دلالة على مناخاً نفسياً ملوثاً بالموت والضياح والتلاشي، وكان ذات الشاعر أصبحت معين يلتقي فيه الخوف والمجهول والعفونة ، فالليل يجسد لحظة النزاع النهائي مع التلاشي . تتنوع صور الليل عند الشاعر بدلالات مختلفة ، فتأتي رمزاً للظلمة وعدم الكشف ، وكذلك تأتي صور للمنفى والظلم السياسي بحال مطبق يغطي الأفق الاجتماعي للواقع الذي يعيشه الشاعر من تحولات حيث يقول: (١٧)

وكانت حنايا الليل تُخفي ارتعاشةً وأعراس رعبٍ من خيالات وحشة

ولاح خلال السهل فانوس حارسٍ يذرذُر ميثَ النور من خيط قبسة

في النص يبين الشاعر مشهداً ليل مشحوناً بالخوف ، فيصبح الليل أفقاً رمزياً تتشابك فيه الدلالات الذاتية والوجودية ، ف(حنايا الليل) أي زواياه وأعماقه المجهولة التي تعطيه وصفاً بصور الارتجاج والتوجس ، وكأنه يشعر بما يشعر به الإنسان ، فيصبح كائناتاً يحمل صفات ومشاعر البشر ، وعبارة (أعراس رعب) فيها مفارقة بلاغية وهي تقنية فنية توظف لصنع الانبهار والدهشة ، والكشف عن ملابسات الواقع ، فالعرس يدل على الفرح ، لكن الشاعر علي الحلي يقبله إلى حفل كله خوف ، مما يعطي النص إثراءً دلاليًا أعمق (١٨)، حيث يكون الليل مسرح لواقع مرعب تتوالى فيه صور الظلمة والبعد والخوف ، فجاءت صور الليل (مرتعش) غير ساكن يوحي باليأس وعدم الاستقرار ، ويتمثل على خيالات تخلق الخوف والغربة الذاتية ، وبالتالي الليل عند الشاعر رمزاً للربح والانحسار والعزلة ، فصورته عند الشاعر تحمل معاني الإخفاء والانفعالات النفسية فقط ، بل إلى الإيحاء النفسي بضعف الشاعر أمام المجهول الذي يفرضه الليل ويبدو أن الشاعر أدمن الغربة بنوعها الروحية والمكانية ، فهو لم يكن وحيداً في هذه التجربة فكثير من الشعراء سبقوه في هذا المضمار ، وهذا الاعترا ب يُذكي أبداع الشعر (١٩) ، حيث يقول الشاعر: (٢٠)

والليلُ إرهابٌ . وملعبٌ عطرُ !

كم لَرَّها لإصباحٍ . والسَّحرُ

ليلُ الهون ، يحقُّه الظَّفَرُ

في هذا النص الشعري تبدو ثنائية النهار والليل حيث تشكل مركزاً رمزياً ، يبنى عليه الحلي رؤيته النفسية ، فالليل لديه يمثل بؤرة الإشارات الحسية التي تمور بدلالات وأنطلاقات خفية ، وقوله (ملعب عطر) هو تصوير لليل الذي يمثل أفقاً أبداعياً تتراقص فيه العطور والظلال ، فليل عند الحلي مكان يتجسد فيه الجمال بصمتٍ وشذى وهناء ، ثم يقابل الحلي الظلمة بالفجر ، وهذا التحول يصل بالليل إلى قمته الروحية في وقت آخر الليل (السحر) والذي يأتي بعده الضياء ، فيتجلى لنا رمز الليل بوصفه إرهاباً يمثل النضج الداخلي والتأمل قبل الانطلاق ، وهنا صورة الليل تختلف عن صورته التي تحمل الخوف والمجهول والمنفى ، إذ يجعله الحلي وقت انكشاف ينتهي بالانتصار ، ويبدو لنا أن صورة الليل تتغير حسب الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر حيث يقول: (٢١)

فوق الاحراش البرية

يتراكض من رعب الليل

ورؤى الهول

وهنا... عمانُ.. دمٌ كَبر !!

يبدو أن المقطع الشعري يرتكز على دلالات مهمة منها تلاحم المكان والزمان (الليل) ، فتبرز الصورة بين الأحرار والظلام دلالة على عدم الاستقرار، والرؤية الممتلئة بهاجس الخوف ، ثم تتدفق الدلالات في الأخير بذكر (عمان) الممتزجة بصورة الدم ، وصرخة (كبر) التي تتوافق بين الحزن والمقاومة ، فالأحرار البرية ترمز إلى تعدد الظلال في طبيعة غير ممهدة ، واللفظ يتراكم يعطي صورة الرعب وديناميكية السرعة ، وكأن الخوف يتمثل في كائن يقظ ويعود ، والليل مصدر خوف والظلام المتغير ، فتتحول الظلمة إلى قدرة تنشر الخوف في المكان والنفس ، والليل رمزاً للقهر والحزن والتهديد الذي يجري ويتوسع ويطبق ، فالمقطع يبني ثنائية الليل والمدينة والخفاء والانكشاف، فهو مصدر للملاحقة المستمرة والقهر والدمار والترهيب. استخدم الشاعر في بناء نصوصه الشعرية على البنية التركيبية و الدلالية والصوتية ، ثم الكشف عن الروابط بينها ، وكيف تشارك في بناء الدلالات وخاصة صور الليل حيث يقول: (٢٢)

أين كانت جنازة الليل صرعى خنجر الفجر وانفلاق الضياء

وعطاشى الريح تشرب نبع الشمس صفواً من أمتي العصماء

يمثل المقطع الشعري بناءً لغوياً متداخلاً تلتحم فيه الصورة والرمز والايقاع ، لتجسد عالماً دلالياً خاصاً يعكس بصيرة الشاعر وتجربته الذاتية والفكرية ، ومن هنا تأتي أهمية تحليل النص الشعري ، بوصفه مدخلاً لكشف المراتب العميقة للمعنى ، حيث يوظف الحلي صورة (جنازة الليل) لجسد الليل في هيئة كائن يُنشر خبر موته ، والصورة التي اعتمدها الشاعر مركبة الأولى جنازة تُحمل إلى مثواها الحتمي ، والثانية مجموعة من الموتى ، فكأن الليل جثة هامة تشظت حتى أصبحت بقايا متفرقة ، فهذه الصورة تظهر أن الحلي لا يرى الليل على أنه زمن ، بل هو حالة ضياع وتلاشي وفناء وتمزق ذاتي ، فالليل عند الشاعر رمزاً لمرحلة حزينة معتمة ونهاية مأساوية تمتد طويلاً ، وما يعمق صورة (خنجر الفجر وانفلاق الضياء) حيث يتحول انحسار الظلام وظهور الفجر إلى خنجر للطنن ، حيث يقبل الشاعر الصورة المعتادة للضياء والاخلاص من الظلام ، فالفجر عند الشاعر لا يكون أفضل من الليل ، لذا جاء يحمل رمز للضعف والهزيمة في عالم مُنهار ، فالليل نهاية وموت ، والفجر غدر وطنن ، والضياء انحسار وكتم وأطباق وفي السابق ذاته يحول الشاعر الليل المفرد إلى ليالي متعاقبة تمثل المرض والموت في صور جزئية متعاقبة ، لتشكل بنية الصورة الكلية للنص حيث يقول (٢٣)

غرسوا السلَّ عبر دروب الليالي والبقايا على الثرى أحزانُ

مات في الليل نعيهم ، وتولى الموتُ عنهم ، وقيدهم أكفانُ

هذا النص يرتكز على حضور الليل ليكون فضاءً رمزياً يحمل ثنائيات المرض والاستبداد ، ليصبح الليل نطاق يجسد واقع مُثقلٍ بالجراح ، ويبدو أن الشاعر يستعير (غرسوا السل) دلالة على زرع الدمار والخراب في كل اتجاهات الحياة ، و(دروب الليالي) هو الفضاء المترامي حيث العتمة والقهر ، وبث الموت والحزن تحت جنح الظلام وبصورة خفية بعيدة عن الأنظار ، فجاء الليل مساعداً في تحقيق تلك الجرائم ، فالليل يبتلع كل شيء حتى صوت رثائهم ، فرمزية الليل جاءت في صور متعددة منها طريق مظلم تغرس فيه المظالم ، وسقف يكتم أصوات رثاء الموتى من تأبين ونعي ، فالليل هنا رمزاً للقمع والأرهاب وشيوع الموت في ظلمته ، وكذلك يمثل الليل الدمار الكلي وانطفاء الحياة وتلاشي الأمل في الخلاص من الواقع الجاثم الذي لا يتغير ، فالليل عند علي الحلي رمزاً للعنف الممنهج ، ولزمن يكسوه الحزن والموت والتستر على الجرائم ، فالمستوى الدلالي للنص يقوم على ثنائية الليل + العنف الموت ، والإنسان + الضحية والفناء ، ويبرز الموت كحالة وجودية يتعايش معها المجتمع. وقد تأخذ صور الليل دلالات رمزية ومنحى جديد في تجربة الشاعر في المنفى والاعتراب بنوعية الروحي والمكاني حيث يقول: (٢٤)

والليل . والأشباحُ في مهوى الظلام ، ولن نحيد

اليوم في المنفى البعيد نجرَ أصفادَ العبيد

ينضم المقطع الشعري إلى شعر الاعتراب ، إذ تتشابك ثنائية الليل والمنفى لتجسد فضاءً مظلماً يحيط بذات الشاعر وجودياً وسياسياً ، فجاء النص بصور مكثفة ومحمل بأشارات رمزية عميقة ، فالليل لم يكن عند الحلي زمناً طبيعياً ، بل واقع وجودي مركب من سمات مختلفة منها ليل مكثف مسدود ، فجملته (مهوى الظلام) توحى بظلام دامس وطبقات متراكمة من العتمة ، أي أنه وصل إلى أبعد درجاته ، فالليل عند الشاعر واقع يخنقه ويسقط فيه ، ثم ينتقل إلى صورة رمزية أخرى هي ليل تسكنه الأشباح التي تحمل دلالة الخوف والمجهول ، لا استقرار فيه ولا راحة ، إذ يمثل ذاكرة الخشية التي لا تهدأ ، وتأتي صورة الليل والمنفى الذي يكرس الإقصاء الروحي والمكاني ، وصورة (نجرَ أصفاد العبيد) صورة حركية محملة توحى بالفقر والتلكؤ مع وجود القيود ، فيتحول الليل إلى ظلام سياسي وتاريخي ومنفى ، إذ يكون الليل رمزاً للقهر والضياع وماضي أليم ، ومن بين هذه الصور المعتمة تبرز حالة الرفض بقوله (لن نحيد) فيكون الليل رمزاً للأمل والانطلاق نحو الفجر الجديد ، وبهذا تحمل صورة الليل

بعدها الوصفي ليصبح بؤرة لحالة الشاعر البعيد عن الوطن الذي يتحدى الظلام بأرادة قوية .وفي صورة جديدة لليل تحمل إحياءات الأمل المنتظر بعد ظلمة الطويلة ، وتقديم التضحيات من أجل الخلاص ، يطالعنا الشاعر ويقول :^(٢٥)

وأعطى من نذور الليل نجوى للضحى الغادي
وكان الفجر مشنوقاً على أشتات أعواد

يعطي هذا النص صور رمزية تتشابك فيه صورة الليل مع وقت بلوح الضياء والأشراق ، وقد جاء البناء الفني على مفارقة التحطم ، فالليل في المقطع كياناً مؤثراً يعطي وينذر فهو سلطة رمزية تسيطر على الزمن الآخر ، حيث يكونان الفجر والضحى قبيحين لا يصلان إلى الاكتمال ، وجاءت صور الليل بعيداً عن معناه الزمني إلى ليل الظلم والقلق والهيمنة ، والشاعر عمد إلى أعطاء الليل مقدره الواهب والمعطي ، والتي تكون عطايه غير كاملة ومشوهة لا نوراً ولا خلاصاً ، فالليل عند الشاعر يضم في طياته أصوات مبجوحة وأسرار عميقة ، وإحياء بالكبت والرهبية والنجوى ورمز لكتم الأفواه وعدم أظهار الحقيقة ، و(الضحى الغادي) هو المستقبل الجديد أو الأمنيات التي لا ترى النور ، فالفجر رمزاً للخلاص في يوم جديد يحمل ولادة مشرقة ، ثم تأتي صورة سوداوية ترمز إلى أعدام هذه الولادة بلفظ(مشنوق) ، إذ يتحول الفجر إلى أفول ونهاية وموت ، فيكون الليل رمزاً للقهر السياسي والاعتراب الوجودي الذي لا ينتهي ، فهو يقوم على ثنائية معكوسة فالليل هو الفاعل المهيمن والضوء ضحية ، وهكذا تتحول صورة الليل إلى رمزاً قاهراً يقدم نهار مضطرب وصبح متلاشي في رؤية شعرية سوداوية تشكل انحصار الأفق وتشظي الأحلام . وتتابع صور الليل عند الشاعر لتشكل الصورة الكلية ، كما في النص من قصيدة (قبل الرحيل)^(٢٦)

وتلاحمت أشواقه الأخر
والليل فرّ ... وعند قريتنا
يبكي النخيل ويجهش الزهر

في النص الشعري يتحول الليل إلى ثيمة رمزية مؤثرة في ذات الشاعر ، إذ جاءت الصور في المقطع (فرار الليل) تجسيد إنساني ينسب إليه الهروب ، فالليل لم يكن قادر على احتواء الألم أو كبت المشاعر ، وهذا مغاير لصورة الليل التقليدية بوصفه ظرف زمان يحمل دلالة السكون أو الحزن والمجهول والعتمة ، فيتحول إلى زمن عاجز غير قادر على التأثير الإيجابي أو السلبي ، فرمز الليل في النص هو فترة الجور أو البعد والأقصاء الممتد طويلاً ، والذي يحمل الغربة الروحية والخيبة والانكسار ، والفرار يوحي بظهور الحقيقة لكن ليس ظهوراً مفرحاً ، حيث لا يتأمل الشاعر الفجر الجديد ، وقد اعتمد الشاعر على صور فنية فيها توظيف الأفعال المضطربة (يبكي ، يجهش) ، لأبراز عاطفته والتحول من المجرد إلى المحسوس فالنخيل والزهر رمزاً للشموخ والنقاء ، فالليل هنا رمزاً لمرحلة مظلمة من الحرمان وانعدام الأمل في فجر جديد ، والطبيعة الباكية في النص تؤكد أن الحزن كلي بمساحة الوطن لا يخص الشاعر وحده .وفي نص آخر يجسد الشاعر صورة الليل بالكائن الحي الذي يمهد دروب الظلمة ، حيث يقول في قصيدة : (غيوبية)^(٢٧)

الليل يفرش الدروب وحشة من السكون
والسرّ يستريح في أسرة الجنون
موسداً على مرافئ الظلام

يُعد النص الشعري بنيةً دلالية تتشابك فيه الصور الفنية والرمزية لتجسد تجربة الشاعر الذاتية ، ولا سيما صورة الليل بوصفها رمزاً مركزياً ، لما تحمله إحياءات رمزية عميقة تتخطى البعد الزمني ، حيث تكون أبعاد نفسية ووطنية ووجودية ، كما يسعى البحث إلى كشف الصورة الفنية من تشخيص وانزياح دلالي تُظهر رؤية الشاعر الحزينة من الواقع الذي يعيشه ، وتشكيلة الليل في النص نفسي لا زمني ليغدو حالة وجودية ، إذ يشخص الليل فاعلاً واعياً يفرش كما لو كان كائناً يروم العزلة والاحاطة ، فالفرش صورة توحى إلى امتداد مترامي الاطراف مطبق ، فيكون الليل قوة تضع الوجود في عزلة كابوسية ، فهنا الليل ليس زمن راحة وسكينة ، بل فضاء مقيد للحركة والاخلاص ، ثم يتحول النص من الصورة الخارجية إلى صورة ذاتية أعمق فالسر يرمز إلى الألم المشنوق ، وجاءت عبارة (أسرة الجنون) استعارة مركبة تجعل من الجنون مأوى ، فالعقل غير قادر على استيعاب الاسرار لفترات طويلة مما يفضي إلى اختلال داخلي ، فصورة الليل ترمز إلى المنفى النفسي والقمع الذاتي والاعتراب الوجودي ، حيث جاءت صورة الليل ليس نقيض للنهار فقط ، بل نقيض الدلالة ، حيث يجثم الحزن ويتحول الجنون سبيل الراحة الوحيد .وفي السياق ذاته يطالعنا الحلبي بصور جديدة ومختلفة لليل يجسد فيها تجربته النفسية ، فيقول في قصيدة (عرس الخطايا) ^(٢٨)

أتحزى عن لذتي في شعاب الدرب . والليل ملء كفي عطراً

وتداعثُ مُتعباً وتعثرُ ، كأن الطريق شوكٌ وصخرٌ

يُبنى هذا النص على مفارقة وجدانية بارزة ، حيث يجمع الشاعر بين بهجة البحث ، وبين الأرهاق والسقوط ، فتخذ الشاعر من الليل فضاءً رمزياً تتشابه فيه صور اللذة والألم ، وقول الشاعر (أتحزى عن لذتي في شعاب الدرب) فالفعل أتحزى يدل على البحث الحذر في مسالك الحياة المتعرجة ، فالشاعر لا يسعى وراء اللذة المباشرة كونها ليست معطى متوفر بل غاية متقلبة ، فجاءت صورة الليل ورمزيته على التجسيد ، حيث أعطى الليل يدين يحملان العطر رمز الإغواء والأمني والأحلام القصيرة ، وكذلك يرمز إلى إغراء وجودي يختزل الأمل الضائع وانسداد الأفق فيتحول الليل من البحث عن اللذة إلى وقت حزن وامتناع ، حيث جاءت الصور في النص بتوظيف الاستعارة والتشخيص والتشبيه والمفارقة بين العطر (اللذة) والشوك (الحزن) ، أنه ليل مُتقلب مُخادع يبدو في شكل معين ثم ينقلب إلى شكل آخر في ثنائية ضدية تبين الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر . وفي نص سردي آخر يقوم بنائه على الأبتداء بفعل ماضي تتجلى صورة الليل عند الشاعر علي الحلي ، إذ يكون الليل زمن للسمر مع الندماء ، فالليل يحمل صور متعددة ، حيث يقول في قصيدة (طريق الصمت) (٢٩)

كان في الليل سامراً فضاً كأسى
وتمطى مع الغصون الصوادي
ثم أهوى على سرير يغني
من تهاليل وحيه المتهادي

يحمل هذا النص صورةً ليليةً مركبة ، تتداخل فيها الرؤية الرمزية مع الإيحاء الصوفي والوجداني ، حيث تتجلى صورة الليل بوصفة فضاءً حياً للروح والتجلي ، فهنا السامر رمز النديم الذاتي أو الهاجس الباطني الذي يكشف العزلة ، والكأس في النص رمز لذات الممتلئة بالمشاعر الظاهرة بعد الكتمان فالليل هو زمن البوح والاعتراف ، والغصون الصوادي ترمز إلى الأرواح المتعبة أو الأمانى الضائعة ، حيث جاء الليل رمزاً للكشف والصوت بعد السكوت فهو فضاء واسع للصفاء الروحي والتجربة الوجدانية العميقة ، فالليل في النص ليس زمناً معتماً ، بل مركز رمزي للتطهر والإنصات الذاتي وفيه بوحاً للأسرار ، وإعادة الروح عبر جرس موسيقى الوحي الهادي ، وهذا يضع النص في تماس واضح مع الرؤية الشعرية الحديثة التي تجعل من الليل حليفاً للوعي لا نقيضاً له يطلعنا الشاعر علي الحلي برؤية احتفالية عناصرها الليل والموسيقى والكأس والندماء ، فتتحول صورة الليل إلى حلقة تشكل بنية دلالية مهمة حيث يقول (٣٠)

الليلُ موسيقى وكأسٌ تدور
ما بين ندماني
ومزهراً يعزفُ لحنَ الزمور
في مرقص الحان
إني هنا سكرانٌ طلقُ الشعور
أعافُ أحزاني

تقوم الصورة في النص على استعارتين مركبتين: (الليل موسيقى) حيث صار الزمن إيقاعاً حيّاً بالنسجام والتوافق مع الموسيقى ، و(كأس تدور) حركة مغلقة ترمز إلى الدوام والتكرار الذي لا يرتبط بالزمن ، فيغدو الليل مزيجاً من السمع والبصر والذوق في تقنية اعتمدها الشاعر (تراسل الحواس) مما يعمق البعد الجمالي ، والندماء ليسوا أفراد ، بل أصوات الذاكرة التي تحمل الماضي بكل تقلباته ، لذا يتحول الليل إلى مجلس داخلي جماعي لا عزلة فيه ، إذ يكون الليل رمزاً للحرية الوجدانية والتخلص من هموم النهار ، فهو يشكل زمن بديل يُعاد فيه صنع الذات ، والليل في النص ليس زمناً معتماً ، بل مسرحاً جمالياً تُدار فيه الكؤوس والموسيقى لتفريغ الحزن ، وإعادة تشكيل الذات عبر الموسيقى والهيام ، ويبدو أن الشاعر علي الحلي ينتقل بالليل من مجرد وصف وزمن عادي إلى رمز مركب يصور التنشيط للذات والرفض الباطني ، وانتظار الفجر الجديد الذي يكون عنصراً مهماً في البناء الفني للنص الشعري عند الشاعر .

الخاتمة:

أن الليل لم يكن في النصوص الشعرية مجرد إطار زمني محايد ، بل تحول إلى بنية دلالية مركبة تتداخل فيها الأبعاد النفسية والوجودية والاجتماعية والجمالية ، فقد استثمر الشاعر صورة الليل بوصفه فضاءً رمزياً يتسع للتعبير عن القلق والخوف والمنفى والقهر والظلام والنور ، كما يفتح إلى مواضيع أخرى منها التأمل والسكينة والبوح والبحث عن الاخلاص . أظهر التحليل أنّ صورة الليل تتشكل عبر شبكة من الصور الجزئية المترابطة

، مثل الظلام ، السكون ، الأشباح ، الفجر المؤجل يكشف عن علاقة جدلية بين الذات والعالم ، وبين العتمة والضوء ، واليأس والأمل ، وبذلك يغدو الليل علامة مفتوحة تتجاوز حدود الزمان والمكان ، لتعبر عن التجربة الإنسانية في أكثر حالاتها توتراً وصدقاً.

المصادر والمراجع:

- ١- أساليب الشعرية المعاصرة ، د . صلاح فضل ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، (د-ط).
- ٢- الادب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره ، د. سالم الحمداني ، ود . فائق مصطفى ، ط/١ ، فاروس ، ايران ، ٢٠١٤م .
- ٣- الأعمال الشعرية الكاملة /ج١ ، علي الحلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٨٧ م .
- ٤- الحنين إلى الوطن عبد المحسن الكاظمي مثلاً ، سعاد محمد الزبيدي ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٩م ، ط/١ .
- ٥- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، د . نعيم اليافي ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨م ، د - ط .
- ٦- دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، (د-ط).
- ٧- فن الشعر ، الدكتور ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط/١ ، (د-ت) .
- ٨- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط/١ ، ١٩٩٣ م .
- ٩- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

هوامش البحث

- ١ - ينظر ، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص٣١-٣٤ .
- ٢ - ينظر ، دلالة الألفاظ ، د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، (د-ط) ص٧ .
- ٣ - ينظر ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، د . نعيم اليافي ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨م ، د - ط ، ص٢١١ .
- ٤ - الأعمال الشعرية الكاملة /ج١ ، علي الحلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط/١ ، ١٩٨٧م ، ص٥٠ .
- ٥ - المصدر نفسه ، ص٥٢ .
- ٦ - ينظر ، فن الشعر ، الدكتور ، إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط/١ ، (د-ت) ، ص١٦١ .
- ٧ - المصدر السابق ، ص ٥٥ .
- ٨ - المصدر نفسه ص٨٥ .
- ٩ - ينظر ، الادب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره ، د. سالم الحمداني ، ود . فائق مصطفى ، ط/١ ، فاروس ، ايران ، ٢٠١٤م ، ص١٩٠ .
- ١٠ - المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
- ١١ - ينظر ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط/١ ، ١٩٩٣م ، ص٩٩ .
- ١٢ - المصدر السابق ، ص١٧٥ .
- ١٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .
- ١٤ - المصدر نفسه ، ص٢٢٧ .
- ١٥ - موقع الجزيرة نت ، لومومبا : زعيم جمهورية الكونغو أُقتل على أيدي مرتزقة بمباركة بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية في ١٧ / كانون الثاني /عام ١٩٦١ ، حيث يُعدّ رمزاً للثورة والتصدي للعبودية.
- ١٦ - المصدر السابق ، ص٢٧٦ .
- ١٧ - المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .
- ١٨ - ينظر ، أساليب الشعرية المعاصرة ، د . صلاح فضل ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، (د-ط) ، ص١٤٦ .
- ١٩ - ينظر ، الحنين إلى الوطن عبد المحسن الكاظمي مثلاً ، سعاد محمد الزبيدي ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٩م ، ط/١ ، ص١٣٧ .
- ٢٠ - المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

- ٢١ - المصدر نفسه ، ص ٢٠١
- ٢٢ - المصدر نفسه ص ٢٣٣ .
- ٢٣ - المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .
- ٢٤ - المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .
- ٢٦ - المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .
- ٢٧ - المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .
- ٢٨ - المصدر نفسه ، ص ٣٨٥ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .
- ٣٠ - المصدر نفسه ، ص ٤٠٠ .